التكامل بتن الأدلة الفطرية والنقلية والعقلية والصوفية للّمقضية وجود اللّه تعالي نموذجاللّه

د.إبراهيم أحمد الديبو ـ جامعة دمشق ـ سورية.

تمهيد:

تعدُّ قضية وجود الله ومعرفة الصانع من أشهر وأهم القضايا الكلامية، وهي الأصل الذي ترجع إليه مسائل العقيدة وعلم الكلام بمباحثه المختلفة، ومع كل ذلك فهي من الوضوح والبداهة بما يجعلها قريبة من العالِم والأمي والكبير والصغير على اختلاف درجات الفهم والمعرفة وتنوع البيئات والأزمنة والأمكنة، وهي من القضايا المسلَّمة بين جميع المسلمين(1)، على اختلاف مذاهبهم وتنوع مشاربهم؛ لذلك لا نجد بينهم اختلافًا وتنازعًا في أصل المسألة، وكل ما نراه من أدلة وبراهين عند المتكلمين والفلاسفة المسلمين إنَّما هي في الغالب لإقناع الملحد المنكر لوجود الله تعالى أصلاً، أو من أجل تثبيت إيمان المؤمن بوجود الله تعالى وإقامة الدليل على عقائده لترسخ وتقوى على مواجهة الشُّبهات.

فمن أجل ذلك نجد أنَّ الآيات والأحاديث لم تحفل كثيرًا بذكر الأدلة على إثبات وجود الله تعالى، فهذه قضية أوضح وأبسط من أن تقام عليها الأدلة والبراهين، بل الكون وما فيه يشهد بأنَّ الله هو الحق وأنَّه الصانع المبدع، قال تعالى: ﴿**سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ * وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الحَقُّ أَوَ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ**﴾ [فصلت:53] فأقرب طريق أرشد إليه القرآن لمعرفة الله تعالى والإيمان به يقوم على تنبيه فطرة الإنسان وإثارة عقله للنظر في النفس التي خلقها الله تعالى على أحسن تقويم وأحكم ترتيب، وفي الكون وما فيه من مخلوقات وعجائب شاهدة على أنَّ هناك خالقًا وموجدًا لهذا الكون، وجوده أوضحُ من كل دليل، وأبين من كل بيِّنة، وأعظم من كل برهان، قال تعالى: ﴿**وَفِي الأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ * وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلاَ تُبْصِرُونَ**) [الذاريات:20-21]، وقال تعالى: (**إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَتِي تَجْرِي فِي البَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ المُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ**﴾ [البقرة:164].

فأنبياء الله تعالى ورسله بعثوا لينبِّهوا العقول إلى أنَّ معرفة الله تعالى ينبغي أن لا تكون موضع شكٍّ وتردّد، فخلقُ السماوات والأرض من أعظم البراهين وأجلى البينات على أنَّ هناك خالقًا مبدعًا لهذا الكون وهذه المخلوقات، قال تعالى: ﴿**قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ**﴾ [إبراهيم:10].

لذلك نقول بأنَّ أصحاب الفِطر السليمة لا يحتاجون لتلك الأدلة والبراهين التي تكلَّم عنها المتكلمون والفلاسفة المسلمون وغيرهم، إلا أنَّها لا يستغنى عنها وينبغي أن يخاطب بها من انحرفت به فطرته ومن علقت به شبهة تشكِّكه في عقيدته وتزلزل عليه طمأنينته، فتُساق له الأدلة والبراهين لإزالة الشبهة وإعادة الطمأنينة إليه، كما توجَّه الأدلة إلى الذين انحرفت عقائدهم في الصفات فنسبوا لله الولد وعبدوا معه غيره؛ فهم الذين بُعث الأنبياء من أجلهم، إرشادًا لهم وتصحيحًا لعقائدهم الفاسدة، وتوضيحًا وإبرازًا لعقيدة الإيمان بصفائها ووضوحها، وفي ذلك يقول الغزالي: «ولهذا بُعث الأنبياء صلوات الله عليهم لدعوة الخلق إلى التوحيد ليقولوا: لا إله إلا الله»[2]، وقال صفي الدين الهندي: «ولهذا لم يبعث الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه إلى أن يدعوا الناس إلى العلم بالصانع، ولم يُنقل عن أحد منهم أنَّه دعا قومه إلى أنَّ لنا إلهًا، وأنَّ للعالم إلهًا، بل بُعثوا بأن يدعوهم إلى التوحيد»[3].

أولا: أدلة وجود الله تعالى.

أكثرَ المتكلمون وغيرهم ذكر الأدلة على إثبات وجود الله تعالى ومعرفته وهي أدلة متنوعة؛ لأن كل طائفة لها منهجها في إثبات وجود الله تعالى، وللطرف الآخر والخصم المقابل أثرٌ في صياغة الدليل؛ فالفيلسوف من موقعه أمام الفلسفات الأخرى ومواجهته للملحد الدهري المنكر لوجود الله تعالى يحتاج إلى أدلة فلسفية عقلية يمكن أن يلتقي بها مع المنكر على قاعدة واحدة؛ لذلك غلبت مسحة التفلسف على أدلة الفلاسفة، وابتعدت عن الأدلة الفطرية البسيطة التي ينتفع بها كل الناس، والمتكلِّمون أيضًا يقيمون الأدلة والبراهين لإقناع الآخرين من أرباب الفلسفة والديانات الأخرى ولإزالة الشبهات التي قد تشوش على المسلم عقيدته؛ أما الصوفي فهو لا يلتفت إلى كل ذلك، وإنَّما شعوره وفطرته أقوى من كل دليل وأعظم من أيِّ برهان.

وبالإضافة إلى المتكلمين والفلاسفة والصوفية هناك اتجاه آخر يجعل أصحابه من النقل والرواية ـ بعد صحتها ـ مصدرًا لمعارفهم واعتقاداتهم، فأدلتهم على وجود الله تعالى ما تشير إليه الآيات والأحاديث، وسيتمُّ التركيز على هذا الاتجاه في هذه الدراسة، ولكن قبل ذلك سأعرض لأبرز سمات تلك الاتجاهات في التدليل على وجود الله تعالى من أجل إعطاء صورة واضحة عنها، وكي تتميز عن بعضها وتظهر الفوارق بينها، وهي أربعة:

1 ـ اتجاه فطري. 2 ـ اتجاه نقلي. 3 ـ اتجاه صوفي. 4 ـ اتجاه عقلي.

1 ـ الاتجاه الفطري:

ويراد به أنَّ الإحساس بوجود الخالق أمرٌ مغروز في فطرة البشر وأعماق ضمائرهم، يشعر به العاقل ولو لم يستخدم طرق البرهنة المختلفة، وإن كان يحتاج إلى أن يلتفت إلى نفسه ويجرّدها من الغفلة ليحسَّ به قويًا واضحًا، فالفطرة الإنسانية في أبسط النَّاس عقلاً وإدراكًا تهدي إلى أنّ لهذا العالم خالقًا أبدعه وموجدًا أوجده؛ فمعرفة الله عند

أصحاب هذا الاتجاه مطبوعةٌ في النَّفس طبعً [4]، وهذا أبعد الاتجاهات عن التعقيد والجدل وإقامة الأدلة، وهو يعبِّر عن الاتساق بين الإنسان وفطرته؛ لذلك يعتبر من أبسط الأدلة وأوضحها وأقربها إلى الاستجابة، ونجد هذا الاتجاه عند بعض الأشاعرة والماتريدية والحنابلة، كالغزالي والشهرستاني، وملاّ علي القاري، وأبي عبد الله بن حامد وابن القيِّم[5]، فالغزالي في إحياء علوم الدين ذكر أنَّ في فطرة الإنسان وشواهد القرآن ما يغني عن إقامة البرهان وإنَّما تذكر الأدلة والبراهين للاستظهار بها والاقتداء بالعلماء النظَّار[6]، وقال الشهرستاني: «فإنَّ الفطر السليمة الإنسانية شهدت بضرورة فطرتها وبديهة فكرتها على صانع حكيم عالم قدير»[7]، وقال ملاّ علي القاري في شرح الفقه الأكبر: «فوجود الحقِّ ثابتٌ في فِطرة الخلق كما يشير إليه قوله تعالى: ﴿**فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا**﴾ [الروم: الآية 30] »[8]؛ لذلك أعرض عن الطرق العقلية التي رتَّبها النظار والحكماء في الاستدلال على وجود الله تعالى واختار طريقة الفطرة [9].

2 ـ الاتجاه النقلي:

وهو اتجاه يجعل من النقل والرواية مصدرًا لمعارفه ودليلاً لعقائده، بعد إثبات صدق النبي بالمعجزة، فكلُّ ما جاء به النبيُّ من إخبار عن الله تعالى وصفاته وأنبيائه واليوم الآخر فهو صدق ويجب الإيمان به، إمَّا باعتماد الرواية دون التفات إلى ما تحتويه من أدلة عقلية وحجج إقناعية، أو باعتماد الرواية بأدلتها العقلية من منطلق أنَّ أدلة النقل من كتاب وسنة مشفوعة بأدلة عقليَّة تبرهن على صدقها، وهي: «أدلة سهلة واضحة بعيدة عن التعقيد والغموض، خالية ممَّا وقع في كثير من أدلة الفلاسفة وعلماء الكلام من صعوبة جعلت فهمها حكرا على طائفة قليلة من الناس»[10].

والفرق بين الدليل الفطري والدليل النقلي واضح وجلي، حيث إنَّ الدليل الفطري ينبعث من داخل الفطرة ومن صميم الشعور، أمَّا الدليل النقلي أو الاتجاه النقلي فيتوجه إلى الدليل النقلي ويعتمده، إمَّا بالتسليم الخالص للدليل دون بحث عن مقويات له، أو باعتماد ما فيه من براهين وحجج عقلية، وليس ذلك من خارج الدليل على كلا الأمرين.

3 ـ الاتجاه الصوفي:

وهو اتجاه له طبيعته الخاصة، فصاحبه ترقَّى من درجة الاستدلال إلى درجة التسليم، لذلك لم يعد يهتمَّ بالجدل ولا يلجأ إليه ولا إلى أدلته العقلية لنصرة عقائده، فالصوفية يستفتون قلوبهم لمعرفة الله تعالى؛ لذلك لا نتوقَّع أن نجد لديهم أدلة على وجود الله تعالى من نمط تلك الأدلة التي نجدها عند الفلاسفة أو المتكلمين، بل إنَّهم لا يكتفون بعدم إقامة الدليل، وإنَّما يستنكر كثير منهم التدليل جملة على إثبات الألوهية؛ لأنَّ الألوهية أثبتُ من أي دليل، فإذا كان عماد أدلة المستدلين هو الاستدلال بالمخلوق على الخالق، فكيف يستدل في نظرهم بالأدنى على الأعلى وبالأخفى على الأجلى؟ وثبوت الله ـ في نظرهم ـ أوضحُ من وجود مخلوقاته، ومخلوقاته هي التي في حاجة إلى دليل[11]، قيل لأبي الحسين النوري[12]: بمَ

عرفت الله تعالى؟ قال: بالله، قيل: فما بالُ العقل؟ قال: العقل عاجز لا يدلُّ إلا على عاجز مثله[13]، وقال الشيخ أبو الحسن الشاذلي [14]: «كيف يعرف بالمعارف من به عرفت المعارف ؟ أم كيف يعرف بشيء من سبق وجودُه كلَّ شيء»[15]، لذلك كانوا يسمّون المتكلمين بأهل الحجاب؛ لأنَّهم يشهدون الكونَ ولا يشهدون المكوِّن[16]، وقد كان الرازي أحيانًا يميل ميلاً واضحًا إلى طريقة الصوفية مفضِّلاً مسلكهم على مسلك المتكلمين، إلا أنَّه في آخر كتبه لم يفضل هذا السبيل على طرق الاستدلال العقلية بل استحسن أن يقرن بها[17].

4 ـ الاتجاه العقلي:

ويظهر هذا الاتجاه لدى الفلاسفة الإسلاميين والمتكلمين الذين ارتضوا العقل سبيلا إلى معرفته تعالى.

المتكلمون: ذكر المتكلمون عدة مسالك في الاستدلال على وجود الله تعالى، وأشهر تلك المسالك خمسة وهي:

المسلك الأول: الاستدلال بحدوث الجواهر والأعراض، وهو أشهر دليل عرفه المتكلمون، ذكره الأشاعرة والماتريدية والمعتزلة، ويقوم على تقسيم الموجودات إلى جواهر وأعراض، حادثة أو ممكنة، فالأقسام في ذلك أربعة، أعرض لها في الآتي:

- **حدوث الجواهر:** فالعالم المتحيز حادث، وكل حادث لا بدَّ له من محدث كما شهد به بديهة العقل.

- **إمكان الجواهر:** العالم مركب من جواهر، والواجب لا تركيب فيه ولا كثرة، بل هو واحد في الحقيقة، وكل ممكن فله علة مؤثرة.

- **حدوث الأعراض:** سواء كان في الإنسان أو في الأفلاك، فحدوث الإنسان وتغيره من حال إلى حال محال بلا محدث، وكذلك حركات الأفلاك والعناصر والحيوان والنبات.

- **إمكان الأعراض:** فالأجسام متفقة في حقيقتها، واختصاص بعضها بصفات جائز، فلا بد في التخصيص من مخصص[18].

المسلك الثاني: ويقوم على استغناء الممكن إلى الواجب، فلا شك في وجود الممكن كالمركبات، فإن استند إلى الواجب ابتداء وانتهى إليه فذاك، وإن تسلسلت الممكنات فلا يمكن أن تستند إلى بعضها، فيستحيل أن يكون الشيء علة ومعلولا في آن واحد، ولا بد أن يكون هناك شيء خارج عن الممكنات يوجدها، وهذا هو الواجب لذاته.

المسلك الثالث: لو كانت الموجودات ممكنة أي لم يوجد الواجب، لكانت منحصرة، ولو كانت منحصرة لاحتاجت إلى موجد مستقل لا يستند إلى شيء من أجزائه، فيكون هو الموجد لكل واحد منها، إما ابتداء أو بواسطة هي منه أيضًا.

المسلك الرابع: لو لم يوجد واجب لذاته لم يوجد واجب لغيره أي ممكن، فعند ذلك لا يوجد موجود أصلا وهذا باطل.

المسلك الخامس: الممكن لا يستقل بنفسه في وجوده، وهو ظاهر ولا في إيجاده لغيره؛ لأن مرتبة الإيجاد بعد مرتبة الوجود، فبان بأنه لا يستند لنفسه وإنما لا بد من موجد بذاته أوجد الممكن[19].

الفلاسفة المسلمون:

فمن أبرز أدلتهم: دليل التناهي لإثبات حدوث العالم وتناهيه بالزمان والحركة وبالمكان والجرم، ودليل الوجود لإثبات الواجب دون نظر إلى المحسوسات، ودليل الحركة الذي أخذه ابن رشد عن أرسطو وعرضه في صورة تختلف عن صورته لدى أرسطو، ودليل الاختراع والعناية اللَّذين استنبطهما ابن رشد من آيات القرآن الكريم، وعني بعرضهما في صورة واضحة قريبة إلى العقول والقلوب[20]، ففي كتابه "مناهج الأدلة "عرض طريقة الأشاعرة وطريقة الصوفية في معرفة الله تعالى ونقدهما، ثم اعتمد طريقة القرآن الكريم، فقال: «فإن قيل: فإذا تبيَّن أنَّ هذه الطرق كلها ليستْ واحدة، فأي منها هي الطريقة الشرعية التي دعا الشرع منها جميع الناس على اختلاف فطرهم إلى الإقرار بوجود الباري سبحانه فما هي الطريقة الشرعية التي نبه الكتاب العزيز عليها واعتمدتها الصحابة رضوان الله عليهم؟ قلنا: الطريق التي نبَّه الكتاب العزيز عليها ودعا الكلَّ من بابها، إذا استُقْرِيَ الكتاب العزيز وجدت تنحصر في جنسين: أحدهما: طريق الوقوف على العناية بالإنسان وخلق جميع الموجودات من أجلها، ولنسم هذه دليل العناية. والطريقة الثانية: ما يظهر من اختراع جواهر الأشياء الموجودات، مثل: اختراع الحياة في الجماد والإدراكات الحسية والعقل، ولنسم هذه دليل الاختراع»[21]. ثمَّ عرض الآيات التي استنبط منها هذين الدليلين، وقال: «فقد بان من هذه الأدلة أنَّ الدلالة على وجود الصانع منحصرة في هذين الجنسين، دلالة العناية ودلالة الاختراع، وتبيَّن أنَّ هاتين الطريقتين هما بأعيانهما طريقة الخواص ـ وأعني بالخواص: العلماء ـ وطريقة الجمهور، وإنَّما الاختلاف بين المعرفتين في التفصيل»[22].

ثانيا: مناقشة وتلخيص.

فهذه أبرز الاتجاهات في الاستدلال على وجود الله تعالى، وهي تعبِّر عن ثقافة أصحابها واختلاف طرقهم، وتوضِّح الجو العلمي الذي ظهرت فيه هذه الاتجاهات، وفيها إشارة إلى الطرف الآخر الذي صيغت الأدلة لإقناعه وإلزامه، وهذا ما يدفعنا إلى عدم

إغفال أيٍّ دليل من الأدلة المذكورة، وإنَّما يساق كل دليل حسب اعتبارات عدة، منها: حالة المستدِل والمستدَل له، وأصحاب الشكوك والشبهات وأصحاب الفطر الصافية النقيَّة، مع مراعاة إيمان المستدل له أو إنكاره وإلحاده، ولا ضير بعد ذلك في تقديم دليل على آخر أو جعل دليل من الأدلة أقرب من غيره إلى أدلة القرآن، ولكن ينبغي ألا يبلغ بنا العجب ببعض الأدلة أن نغفل الأدلة الأخرى ونجعلها أدلة غير شرعية ولا عقلية، وهذا ما نلحظه لدى الدكتور محمود قاسم، حيث أعلى من أدلة ابن رشد- وهو في ذلك على حق- ولكن بلغ به الإعجاب أن جعلها تتطابق تمامًا مع أدلة القرآن، وقلَّل من أهمية أدلة الأشاعرة والمعتزلة الذين لم يقدِّموا -في رأيه -أدلة شرعية ولا عقلية[23]، وهو أمر غير مسلّم به؛ لأنه من المعروف أنَّ كثيرًا من المتكلمين الذين صاغوا أدلتهم حاولوا أن يربطوها بالشرع وبأدلة العقول، بل الأمر كما قال الدكتور الفاوي: «اتفق المتكلمون على أنَّ الإيمان بوجود الله تعالى لا يمكن إلا عن طريق العقل، وأن القرآن قدّم أصول هذه الأدلة في الآيات الكثيرة»[24] ومن ذلك ما نجده عند الإسفراييني في كلامه عن دليل الحدوث وربطه بالقرآن، قال: «وقد نبَّه الله تعالى في كتابه على تحقيق هذه الدلالة وأثنى عليها، وسمَّاها حجة... وهي قصة إبراهيم واستدلاله بالتغيّر على حدوث الكواكب والشمس والقمر»[25]، وهو يشير بذلك إلى قوله تعالى: ﴿**وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ * فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ * فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ * فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ * إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ**﴾ [الأنعام:75-79]. ومثال ذلك ابن العربي حيث ذكر قوله تعالى: ﴿**سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ**﴾ [فصلت:53]، وقال بأنَّها تشتمل على قسمين في الاستدلال على وجود الله: معرفة استدلالية، معرفة غير استدلالية[26].

وكذلك الأمر عند الآمدي حيث اعتمد على دليل عقلي يعتمد على الحدوث والإمكان والتناهي[27]، وحاول أن يربط هذا الدليل بالقرآن الكريم، بل لا نبالغ إن قلنا: إنَّ كل دليل من أدلة المتكلمين يمكن أن نجد له مستندًا من الشرع، إمَّا تفصيليًا أو إجماليًا، فأدلة الشرع وقواعده تستوعب كل دليل استدلوا به على وجود الله تعالى، ولكن يبقى الخلاف بينهم وبين غيرهم في حجية هذا الدليل وبرهانيته، أو في سهولته وقربه من فطر الناس وبعده عن التشقيق والتعقيد، وهذا ما يجعلنا نقول بأنَّ أدلة ابن رشد هي أقرب إلى القبول وبعيدة عن التعقيد والغموض.

وقد استحسن ابن تيمية أدلة ابن رشد إلا أنَّه رأى فيها شيئًا من القصور[28]، ويرى الدكتور حسن الشافعي أنَّ هذه الأدلة خير أدلة قدَّمتها المدرسة الفلسفية[29]، ولكن يجب

التنبيه مرة أخرى إلى أنَّها ليست الأدلة الشرعية الوحيدة، فربَّما نجد من أهل البدع والشبهات من لا يقيم وزنًا إلى أدلة الإبداع والاختراع، ويرى فيها نوعًا من العبث أو المصادفة، فيحتاج إلى أدلة أخرى يمكن أن نلتمسها عند المتكلمين والحكماء وغيرهم من أهل النظر والاستدلال، فعلماء الكلام كانوا يواجهون خصومًا لا يستجيبون إلا لأدلة العقل وبراهينه، وقد كان من هؤلاء يهود ونصارى ومجوس وصابئة وزنادقة، وكان منهم من يشترط على علماء الكلام ألا يستخدموا في الجدال والمناظرة إلا الأدلة العقلية[30]، فأدلة الكلام لها مجالها وأثرها الذي لا ينكر، ويمكن أن نستشهد هنا بكلام الإمام الغزالي، فهو مع ميله الشديد إلى أدلة القرآن إلا أنَّه لا ينكر أثر الأدلة الأخرى ومنها أدلة المتكلمين قال: «لست أنكر أنَّه يجوز أن يكون ذكر أدلة المتكلمين أحد أسباب الإيمان في حق بعض الناس»[31]، وقد أشار في كتابه الاقتصاد إلى حاجة بعض الناس للأدلة والبراهين الكلامية حين قسَّم الناس إلى أربع طوائف:

الأولى: آمنتْ بالله وصدَّقت رسوله واعتقدت الحقَّ وأضمرته واشتغلت إمَّا بعبادة أو صناعة، فهؤلاء لا ينبغي أن تشوَّش عليهم عقائدهم، فإذا تليتْ عليهم هذه البراهين لم يؤمن أن تعلق بأفهامهم مشكلة من المشكلات ولا تمحى.

والثانية: طائفة مالتْ عن اعتقاد الحقِّ كالكفرة والمبتدعة، فالجافي الغليظ منهم الضعيف العقل الجامد على التقليد المستمر على الباطل من مبتدأ النشوء إلى كبر السن لا ينفع معه الدليل.

والثالثة: طائفة اعتقدوا الحق تقليدًا وسماعًا، ولكن خُصُّوا في الفطرة بذكاء وفطنة فتنبهوا من أنفسهم لإشكالات تشككهم في عقائدهم، فهؤلاء يجب معالجتهم بما أمكن من الكلام المقنع المقبول عندهم.

والرابعة: طائفة من أهل الضلال يُتَفرَّس فيهم مخايل الذكاء والفطنة ويتوقع منهم قبول الحق، فهؤلاء يجب التلطف بهم في استمالتهم إلى الحقِّ وإرشادهم إلى الاعتقاد الصحيح[32].

فكلام الغزالي صريح في نفع بعض الناس بأدلة المتكلمين وهذا ما أردت تقريره والتأكيد عليه في بحثي هذا، ولكني لم أقصره على أدلة المتكلمين بل هو أوسع من ذلك كما تقدم.

الهوامش:

(1) قال الشهرستاني: «أما تعطيل العالَم عن الصانع العالم القادر الحكيم فلست أراها مقالة لأحد، ولا أعرف عليه صاحب مقالة، إلا ما نقل عن شرذمة قليلة من الدهرية.. ولست أرى صاحب هذه المقالة ممَّن ينكر الصانع، بل هو معترف بالصانع، لكنَّه يحيل سبب وجود العالم على البحث والاتفاق احترازًا عن التعليل». (راجع: الشهرستاني: نهاية الإقدام ص123–124 حرَّره وصحَّحه الفرد جيوم، مكتبة زهران، د.ت). وذكر الصفي الهندي أنَّ هذه القضية مسلَّمة بين جميع العقلاء. (راجع: الرسالة التسعينية، ص27، تحقيق: ثائر حلاق، رسالة ماجستير بعنوان: (الآراء الكلامية لصفي الدين الهندي مع تحقيق الرسالة التسعينية)، قسم الفلسفة الإسلامية، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة 1422 ه - 2001م).

(2) الغزالي: إحياء علوم الدين ص140، راجع أيضا: الكمال بن الهمام: المسايرة ص7-8.

(3) صفي الدين الهندي: الرسالة التسعينية ص27.

(4) راجع: الدكتور حسن الشافعي: لمحات من الفكر الكلامي ص12، دار الثقافة العربية، القاهرة 1993م. وراجع أيضًا: الزركان: فخر الدين الرازي وآراؤه الكلامية والفلسفية ص183، دار الفكر، بيروت.

(5) ذكر ابن حامد أنَّ معرفة الله تعالى موهبة من الله تعالى من غير نظر واستدلال، نقل عنه ذلك أبو يعلى (راجع: أبو يعلى الفراء: الروايتين والوجهين ص68، دار البخاري، المدينة المنورة، وراجع: ابن القيم: شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل ص318-319، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، د.ت).

(6) الغزالي: إحياء علوم الدين 140/1.

(7) الشهرستاني: نهاية الأقدام ص124، وراجع: الدواني: شرح الدَّواني على العضدية (محمد عبده بين الفلاسفة والكلاميين) 203/1، تحقيق: الدكتور سليمان دنيا، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، الطبعة الأولى 1958م.

(8) شرح الفقه الأكبر ص40.

(9) راجع: أحمد عبد الحليم محمد جلال: ملا علي القاري وآراؤه الكلامية، ص130-133.

(10) الدكتور عبد الحميد مدكور: دراسات في العقيدة الإسلامية، ص129.

(11) راجع: الدكتور عبد الفتاح الفاوي: العقيدة ص92 دار أسامة للطبع والنشر، مصر، 1985م وراجع أيضا: الدكتور محمود قاسم: مقدمة مناهج الأدلة ص23-24 والدكتور حسن الشافعي: لمحات ص11.

(12) هو أبو الحسين، أحمد بن محمد النوري، من كبار رجال الصوفية، نشأ في بغداد، وصحب سري السقطي وابن أبي الحواري، وكان من أقران الجنيد، توفي سنة (295هـ). (راجع: القشيري: الرسالة القشيرية في علم التصوف، ص438-439، تحقيق: معروف زريق، علي عبد الحميد أبو الخير، الطبعة الثانية 1995م، دار الخير- دمشق).

(13) الطوسي: اللمع ص63 تحقيق: الدكتور عبد الحليم محمود، طه عبد الباقي سرور، دار الكتب الحديثة بمصر 1960م.

(14) هو الشيخ المربي أبو الحسن علي الشاذلي، إليه تنسب الطريق الشاذلية، وهو معروف بالعلم والزهد واشتهرت عنه كرامات كثيرة، توفي سنة (656 هـ). (راجع: أحمد بن محمد بن عياد الشافعي:

المفاخر العلية في المآثر الشاذلية ص6، 44 وما بعدها، الطبعة الأخيرة 1993م، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر).

(15) ابن عجيبة: شرح الحكم العطائية ص502، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة الثالثة 1982م.

(16) راجع: ابن عجيبة: شرح الحكم العطائية ص51.

(17) الزركان: الرازي وآراؤه الكلامية والفلسفية ص195.

(18) راجع: الأشعري: اللمع ص18-19، نهاية الإقدام ص124-125 ، الغزالي: الاقتصاد في الاعتقاد ص15، عضد الدين الإيجي: المواقف 2/8 وما بعدها، القاضي عبد الجبار: طبقات المعتزلة ص139، راجع أيضًا: محمد السيد أحمد شحاته: جهود الكمال بن الهمام ص123-24 رسالة دكتوراه، جامعة الأزهر، كلية أصول الدين، قسم العقيدة والفلسفة).

(19) راجع: الجرجاني: شرح المواقف8/ 2- 12، راجع: نهاية الأقدام ص124-125.

(20) راجع: الدكتور حسن الشافعي: لمحات ص7-8، وراجع أيضًا: الإيجي: المواقف 5/8، فدليل التناهي عند الكندي، ودليل الوجود عند ابن سينا والفارابي، والحركة عند ابن رشد وقد أخذه عن أرسطو، والعناية والاختراع استنبطهما ابن رشد من الآيات.

(21) راجع: ابن رشد: مناهج الأدلة ص151، تحقيق: الدكتور محمود قاسم، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، الطبعة الثالثة، 1963م.

(22) المرجع السابق ص153، وقد ذكر الرازي هاتين الدلالتين في كلامه عن إثبات وجود الله تعالى ولكن بتسميات مختلفة عن تسميات ابن رشد، فدليل الاختراع سمَّاه حدوث الصفات، ودليل العناية سمَّاه دليل الإحكام والإتقان. (راجع: الزركان: الرازي وآراؤه الكلامية والفلسفية ص197).

(23) راجع: الدكتور محمود قاسم:مقدمة مناهج الأدلة ص28. ويرى الدكتور فاروق الدسوقي أنَّ أدلة الفلاسفة والمتكلمين لإثبات وجود الله تعالى ليس لها مبرر ولا فائدة. (راجع: القضاء والقدر في الإسلام 93/1، دار الاعتصام، القاهرة).

(24) الدكتور عبد الفتاح الفاوي: في العقيدة ص80، دار أسامة للطبع والنشر، القاهرة 1985، .

(25) أبو المظفر الإسفراييني: التبصير في الدين ص92 .

(26) راجع: الدكتور عمار الطالبي: آراء أبي بكر ابن العربي الكلامية 240/1 الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1974م.

(27) راجع: الدكتور حسن الشافعي: لمحات ص11.

(28) راجع: ابن تيمية: بيان تلبيس الجهمية 176/1.

(29) راجع: الدكتور حسن الشافعي: لمحات ص8.

(30) راجع: الدكتور عبد الحميد مدكور والدكتور السيد رزق الحجر: دراسات في علم الكلام (بالاشتراك) ص9. الناشر: دار الثقافة العربية، مصر 1999م.

(31) الغزالي: فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة ص99، الطبعة الأولى 1996م، مطبعة الحكمة، دمشق.

(32) راجع: الغزالي: الاقتصاد في الاعتقاد ص8، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة الأخيرة.